متحف الوطن الافتراضي

فاتح المدرس وحكايات البدايات والنجاح «١»

لا تنفصل عنده الحياة عن عملية الخلق الفني المبدع

بعد مقتل والده برزت الأم التي حفرت ذاكرته طوال حياته

العاشقان ١٩٥٦

من بداياته السريالية

أقدم لوحاته عن أمه

| سعد القاسم

وفق سجلات القيد المدني ولد فاتح المدرس في حلب في اليوم الأول من عام ١٩٢٢ غير أنني أرجح أن هذا التاريخ هو تاريخ التسجيل لا تاريخ الولادة الفعلي. ويؤيد هذا ما ذكره الفنان فادي المدرس الذي قال لي: «يوم ميلاد والدي غير معروف بدقة وكانت جدتي تقول إنه كان في أواخر كانون وقت الثلجة الكبيرة.

ولكنه سُجل في النفوس بتاريخ ١٩٢٢/١/١». وعلى هذا احتفل الموسم الخامس لأيام الفن التشكيلي السوري بمئوية ولادته العام الماضي. وثمة حكاية تؤكد ما سبق من جهة، وتلقي بعض الضوء على شخصية المدرس ما زلت أذكر تفاصيلها رغم مرور نحو أربعين سنة عليها، حين اصطحبت إلى مرسمه صديقة بناء على إلحاحها، بعد أن حذرتها من التورط بأحاديث سطحية، لكن (هوسها) بالأبراج دفعها لتسأله عن يوم ولادته بالتحديد. التقط الأستاذ فاتح دافع السؤال فأجابها بكثير من الجفاء: «بدل تحللي في شخصيتي من برجي. أم تريدين إخباري بمستقبلي؟ على كل حال أنا لا أعرف يوم ميلادي لأنه في الريف كان تسجيل الأولاد يتم حين تتاح فرصة للذهاب الى النفوس. وأحيانا بعد أشهر كثيرة وسنوات، وكان الموظف يسجل تاريخ الولادة حسب تقديره هو، لا وفقاً لرواية الأهل. يمكن حتى لا يعطي المنجمين والبصارات فرصة الدجل على الناس».

لم تطل الزيارة بطبيعة الحال. ولم تتكرر أبداً. ولم يحدثني عنها المعلم نهائياً. على العكس تماماً من زيارة صديقة ثانية ذكرتها في ندوة بكنيسة الصليب قبل رحيل المعلم بوقت قصير، وسأتحدث عنها في حلقة قادمة.

القسوة في الحياة

شهد فاتح المدرس باكراً مقتل أبيه على يد عصبة من المستبدين فتولت عمة له رعايته، لكنه لم يستطع العيش معها بسبب اعتراضها على ميوله الفنية المبكرة ووقوفها في وجه رغبته في الرسم، وأمام إلحاحه الشديد أعيد إلى أمه المُعدَمة التي بذلت جهوداً شاقة لتنشئة أولادها، وأعطت كل اهتمامها لمتابعتهم الدراسة، في الوقت الذي شجعت فيه اهتمامات فاتح الفنية، فكانت توفر له أوراق الرسم والأقلام رغم فقرها الشديد. وقد كان لهذه الرعاية أثر كبير في حياته اللاحقة تبدى بظهور وجه أمه في قسم كبير من لوحاته ومنها واحدة من أقدم تلك اللوحات، وقبل أن ينتقل من الواقعية إلى تجاربه التالية.

الفن واللغات

درس فاتح المدرس الفنون واللغة الإنكليزية في حلب وعالية، وشارك عام ١٩٤٧ في معرض الفنانين العرب في بيت مري، ومن ثم في المعرض الأول للفنانين التشكيليين السوريين في مدرسة التجهيز الأولى بدمشق، ونظم عام ١٩٥٠ المعرض الأول لأعماله في نادي اللواء بحلب. كان عام ١٩٥٢ العام الأهم في تجربة فاتح المدرس، ففيه شارك في معرضين أحدهما في الولايات المتحدة والثاني في السويد، إلا أن الحدث الأهم كان نيل لوحته (كفرجنة) التي احتفلت أيام الفن التشكيلي السوري في الوقت ذاته بمرور سبعين سنة على نيلها الجائزة الأولى للمعرض السنوي الثالث للفنون التشكيلية في المتحف الوطني بدمشق. فاعتبر هذا الفوز فاتحة رسمية لاتجاهات الحداثة في الفن التشكيلي السوري. وبعد ذلك بعامين سافر إلى إيطاليا حيث درس لمدة ست سنوات في أكاديمية الفنون الجميلة فيها، مرت فيها تجربته بتأثيرات سريالية. وفي عام ١٩٦٠ أنهى دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة، وعاد إلى دمشق ليدرّس في كلية الفنون الجميلة فيها حتى عام ١٩٦٩. وعن هذه الفترة تحث الفنان رضا حسحس في مقالة نشرها ربيع عام ١٩٩٤ في صحيفة «التشكيلي السوري» تحت عنوان «فاتح المدرس كما رأيناه ونراه» جاء فيها:

«لقد كان حدثاً فنياً مهماً عودة فاتح المدرس من روما إلى الوطن. كنا يومها طلاباً في معهد الفنون الجميلة والهندسة المعمارية قادمين من محافظات أخرى مدفوعين بشوق دراسة الفن الذي لم يكن له فيها حضور إلا في أذهاننا وفي الكتب والمجلات وفيما يتناقله الأصدقاء الهواة وخفية في منازلنا. وكانت لوحة كفر جنة» عالقة في ذاكرتنا ضاجة باللون وعبق أرض الشمال. في أحد الصباحات سمعنا أن فاتح المدرس حضر إلى المعهد ليبدأ التدريس، وبدأنا نشعر بحضور شخصية فنية مبدعة في وعينا. وفي اليوم ذاته سمعنا عنه كيف دخل إحدى الغرف التدريسية الغارقة بالعتمة إلا من ضوء كهربائي مختنق مسلط على آنية نحاسية صدئة وقطع قماشية مطرزة وفاكهة قد ذبلت واختفت طزاجة ألوانها. وسمعنا يومئذ كيف اخترق فاتح المدرس هذه العتمة مذهولاً وقال: لمَ تغلقون النوافذ وتحجبون ضوء الشمس والهواء؟ ففتحها على مصاريعها فاختفت الطبيعة الصامتة خلف شاشة الضوء الصباحي الساطع. كانت تلك الصدمة الأولى التي واجهت تعاليم فنية بائدة.

الروح الحرة

احتفى الطلاب الشباب بحضور فاتح المدرس ذهنية جديدة خلاقة طال انتظارها مشبعة بروح حرة تفهم الفن تحققاً إنسانياً وجمالياً عالياً، وتطرح جانباً المفاهيم الرثة والبالية، وتفهم الفن جوهر حياة لا خيالات شاحبة لها. حاول فاتح المدرس بجهوده الخاصة الفريدة ورحابة نظراته للفن والحياة أن يخلق وسطاً فنياً قائماً على الحرية المطلعة والمسؤولية الشديدة، وفهم لغة التصوير أبجدية مستقلة بذاتها وسط أجواء يشيع فيها الانغلاق والارتداد نحو الماضي ومعاداة تفتّح الفرد والنظرة المضادة للتقدم فتحول محترفه إلى منتدى مشبع بمبادئ الحرية وطقوس الخلق والإيمان بالإبداع الإنساني والتجدد وبالشعر والموسيقا وتبادل الأفكار. لقد استطاع فاتح المدرس بشخصه وفنه أن يبث روحاً طليعية طليقة لم تكن معروفة من قبل فالتفت حوله مواهب شابة شغوفة بالإبداع الفني ورأت فيه داعماً كبيراً لها وما تبحث عنه وموجهاً فريداً لا تنفصل عنده الحياة عن عملية الخلق، لا بل تعلمت كيف تحب الحياة وترقى بثقافتها وتؤمن بالجمال رسالة لها. لقد أعلنت أعمال فاتح المدرس عن إنتاجات فنية راسخة في مفاهيم التصوير الحديث ومفعمة بقوة حضورها وإنسانيتها وعابقة بخصوصية انتمائها ألواناً وشخوصاً وبيئة وحلولاً تشكيلية تبث حضورها أينما وجدت في العالم من دون أن تفقد جغرافية ولادتها، فالأصالة بالنسبة إليه تصدر عن الأرض وعن حميمية العلاقة بالبيئة والإنسان وعن مخزون نضج حياة معيشة وعن وعي أعمق من أن يحتاج إلى استخدامات مباشرة وسطحية لمقولات إيديولوجية أو تراثية قاتلة للفن، فلفاتح المدرس معرفة واعية وعميقة بتاريخ الفنون الرافدية والمتوسطية وهو ذو معرفة خاصة أصلية بالنظريات الجمالية من أفلاطون إلى هيغل وإن لم يكن هو بالذات صاحب نظرية جمالية خاصة قائمة على أن الجمال هو الخلاص المتبقي للإنسان وهو المنقذ من طغيان القوة والغرائز وقائمة على خصوصية الانتماء لثقافة بعينها لا يمكن أن تفقد جغرافية هويتها.. (يتبع)

> مرت تجربته بتأثيرات عديدة أهمها المرحلة السوريالية وجان بول سارتر

(كفر جنة) تتوسط لوحات فاتح في احتفال أيام الفن التشكيلي السوري بمئويته

بسام كوسا وسنوات كالثواني

سلاف فواخرجي: «نشكر الناس من صدق منهم ومن لم يصدق»

فيفي عبده لرونالدو: «ليه مش عايز تتزوج أم العيال؟»

| وائل العدس

كما كل خميس، نأخذكم بجولة حول أهم ما نشره نجوم الفن عبر مواقع التواصل الاجتماعي هذا الأسبوع وإلى التفاصيل:

تماماً ثوانٍ

نشر النجم بسام كوسا صورتين له، واحدة عند بدايته الفنية والأخرى التقطها مؤخراً، وعلق عليهما: كنت أعتقدها سنوات، لكنها مرت كالثواني، تماماً ثوانٍ!!. وعلى منشوره هذا تلقى عشرات التعليقات التي تتمنى له طول العمر ودوام التألق والنجومية.

أيام أفضل

اختتمت النجمة سلاف فواخرجي العام الماضي بصورة شخصية داخل سيارتها وعلقت عليها: «يقولون إن أحسن الدعاء ما بدأ بالشكر والحمد، وقبل أمنياتنا للعام القادم الذي ستتغير أرقامه، نحمد الله ونشكره على كل شي وكل تفصيل، فنعمه مهما ضاقت بنا الحياة لا تعد ولا تحصى».

وأضافت: «نشكر أنفسنا عندما أصبنا وعندما أخطأنا، عندما ضحكنا وبكينا وتعلمنا، عندما أحببنا وأحببنا، أخلصنا ووفينا، وعندما أعطينا بلا مقابل، ففي العطاء كل السعادة».

وأردفت: «نشكر الناس من صدق منهم ومن لم يصدق، يكفي أننا كنا معهم كما نحن وليس كما هم، نشكر الحياة بحلوها ومرها فهذه هي الحياة ببساطة».

بسام كوسا بين الماضي والحاضر

فيفي عبده

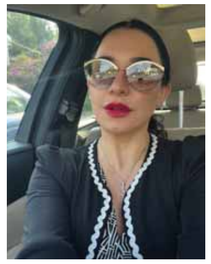

سلاف فواخرجي

واختتمت منشورها بالقول: «وأما بعد الامتنان والحمد والشكر، نتمنى أياماً أفضل، وأمناً وأماناً، رحمة، ورضا يجعلنا أجمل».

عن غير قصد

وضعت الفنانة اللبنانية نوال الزغبي حداً للقيل والقال والشائعات التي انتشرت بعد مشاركتها في حفل «تريو نايت» وغنائها «بحب في غرامك» مع الفنانة لطيفة التونسية.

ووجهت رسالة إليها أكدت فيها أنها لم تقصد أي شيء بتصرفها معها على المسرح، وكتبت: «لطوف أنت أختي وصديقتي وفنانة كبيرة، وفرحتي أنه غنينا سوا والحركة اللي صارت على المسرح كانت بمنتهى العفوية والحب». لتتمكن من قطع الطريق أمام الضجة الحاصلة على مواقع التواصل الاجتماعي حول خلاف بينها وبين لطيفة، وذلك بعد ظهورهما معاً في أثناء الغناء، فعندما جاء دور نوال كادت تغني لطيفة معها، أبعدت الأولى الميكروفون عنها لتمنعها من مشاركتها.

بلقيس الوحش

شاركت الفنانة اليمنية بلقيس فتحي متابعيها بفيديو يوثق تمارينها الرياضية القاسية التي تقوم بها بإشراف مدرب خاص.

واستعرضت قدراتها ولياقتها البدنية، في أثناء تدريبها على أحد أنواع رياضة الملاكمة القتالية التي تعتمدها باستمرار للحفاظ على رشاقة جسمها.

وحرصت على تنبيه متابعيها إلى عدم تطبيق حركاتها القتالية في المنزل بمفردهم، وأرفقت المقطع بتعليق طريف قالت فيه: «وحش يصنع وحشاً، لأنني وحش».

لم تنته

عادت الفنانة المصرية منى فاروق للتفاعل مع جمهورها بعد أن تعافت من آثار الجراحة التي خضعت لها أخيراً في عينها، حيث نشرت رسالة غامضة وجهتها إلى جمهورها.

وكتبت: «ما زال لديّ الإرادة، ما زال لديّ التحدي، ما زال لديّ الكثير... القصة لم تنته بعد».

إصابات بالغة

أقدم الموسيقار اللبناني سمير صفير على مقاضاة أحد فنادق القاهرة بعد تجاهل إدارته لما تعرض له من إصابات بالغة في أثناء إقامته، وبين أنه انزلق على درج «الجاكوزي» في النادي الرياضي التابع للفندق، معتبراً أن الموقع غير مراعٍ إطلاقاً لشروط السلامة العامة.

وقال: «إني أجد نفسي مضطراً إلى اتخاذ طريق المداعاة نتيجة إصابتي البالغة التي ما زلت أعانيها حتى تاريخه من دون أي اكتراث من إدارة الفندق لما حل بي من إصابات بالغة في أذني ورأسي ومختلف أنحاء جسدي».

فيفي

وأبدت الفنانة المصرية فيفي عبده إعجابها الكبير بلاعب كرة القدم البرتغالي كريستيانو رونالدو، فامتدحت جماله ولياقته العالية، قبل أن تجاهر باستيائها الشديد منه لعدم زواجه حتى اللحظة من والدة أبنائه الثلاثة جورجينا رودريغيز.

وتوجهت له بالسؤال حول الأسباب الكامنة وراء إنجابه من عارضة الأزياء الإسبانية بالتزامن مع عدم رغبته في الزواج منها، حيث عاتبته قائلة: «ليه مش عايز تتزوج أم العيال، إيه الفكرة؟، أنا ده مضايقني منك جداً».

برجك اليوم 01/05

نجلاء قباني

الحمل

تبادر اليوم إلى اتصالات مجدية على الصعيد العملي أو العاطفي وأخبار سعيدة أو تطرأ عليك ظروف أو مفاجآت تجعلك مميزاً فربما تمتلك فيه شيئاً يسعدك فمحيطك داعم.

عاطفياً: أنت تكره البقاء وحيداً وتحاول تحضير لقاءات مع أصدقاء للمرح والتسلية.

الثور

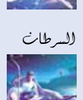

أنت إما أنك تصرف أكثر من دخلك بسبب وضع صحي أو باستثمارات طبية أو تصرف على أمور كمالية في منزلك أو هندامك فانتبه إلى مالك وضعه في مكانه المناسب.

عاطفياً: اليوم أنت سعيد مع الأصدقاء وتسمع أخباراً عاطفية تسعدك وتقربك منهم.

الجوزاء

يتصدر الجديد عناوين حياتك فأنت تفتح آفاقاً جديدة أو تقبل عروضاً تدرسها وقد تفكر فيها بشكل بعيد المدى أوفي أمور مستقبلية وقد تناقش مشاريع وتستفسر.

عاطفياً: اليوم سعيد وعلاقات متنوعة ترى أناساً تسعدك رؤيتك لهم، لم ترهم منذ فترة.

السرطان

أنت تفتقد الحيوية والطاقة وقد تشعر بالخيبة أو الفشل أو التراجع في العلاقات وهذا يستدعي التقرب من الأشخاص الذين تحبهم والذين تثق في محبتهم بالعكس حاول أن تغفر وتسامح.

عاطفياً: أمورك العاطفية مهتزة فاحذر الاحتيال أو تصعيد الخلافات بعناد أو بمواقف متعنتة.

الأسد

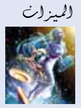

الآخرون هم مصدر السعادة لك سواء على الصعيد الاجتماعي أم الشخصي أو العائلي وقد تتعرف على أصدقاء جدد يسعدونك بمبادراتهم الإيجابية ومدحهم لك واعجابهم بطريقة تصرفك.

عاطفياً: تتلقى دعوات لتجمعات ولمناسبات تفرحك هذا اليوم فتشعر أنك مركز اهتمام.

العذراء

الأمور العملية في مقدمة اهتماماتك وكأنك تضعها في الواجهة بسبب نقد أو اتهام أو مشكلة طارئة وقد يضايقك العناد والإصرار ممن حولك على ظلمك في قضية عملية أو في فرض آرائهم عليك.

عاطفياً: أنت متعب من كل الممارسات الفوضوية التي تحصل حولك وقد تفاجأ بأصدقائك يقفون ضدك.

الميزان

أنت تأسر الآخرين بإقناعك لهم بما تريد فحاول الدخول في حوارات لتحسين أمورك فاستفد من أي دقيقة دون أن تضيعها الاتصالات غير المجدية ووفرها للتفكير والتخطيط لأمور مستقبلية.

عاطفياً: قد تفكر بعلاقة جدية أو تفكر بخطوبة أو زواج وأخبار مشجعة أو مناسبات.

العقرب

قد يعاني أحد الأقرباء من مشاكل قد تجعلك تلجأ لناس مهمين لمساعدته لتقدم أفكاراً جديدة تلاقي الدعم من ذوي نفوذ، أنصحك بتوظيف طاقاتك كما يجب.

عاطفياً: علاقاتك اليوم بالآخرين تجلب لك الإشراق والاستقرار وتلاقي إعجاب الآخرين.

القوس

انفض غبار قلبك وأزل الغشاوة عن بصيرتك وخاصة أنك شكاك وعصبي وقد تشعر أنك غير محبوب من الطرف الآخر وقد تنتظر الجواب على أسئلة أو تعاني من سوء تنسيق في بعض المواعيد سواء مالية أم شخصية.

عاطفياً: لاحظ أن العدائية قد تسكنك وتصبح أكثر حساسية من المعتاد ممن حولك.

الجدي

اليوم قد يحمل لك الفلك خيارين أحدهما يقلقك وقد يضايقك التفريط بأحدهما فاليوم متعب والعمل كثير وقد تعاني من ضغط وأنا أدعوك لتذكر ما نسيت فقد يسبب لك النسيان إرباكاً بسيطاً فانتبه لصحتك.

عاطفياً: تجد حلولاً ومساعدات من أصدقاء تتفاهم معهم تتصرف بإيجابية غير معهودة.

الدلو

اشرح وجهات نظرك من دون توتر وبهدوء لتكون مفهوماً ومسموع الصوت ومؤثراً فرصة لتحقق طموحاتك ولتدافع عن نفسك ولتضع النقاط على الحروف في علاقاتك.

عاطفياً: تشعر أنك تريد جمع من حولك كل المقربين من أهل وأصدقاء للمرح والزيارات.

الحوت

أنا أتمنى أن تتغلب على أي إحباط قد تصطدم به وتحاول أن تجد حلولاً لكل ما يشغل بالك وربما تعاني من عدم اهتمام أو برودة في العلاقة وقد تعاند ولأكثر من مرة أو تصطدم مع من تحب.

عاطفياً: اختلافات صغيرة في الرأي حول أمور سطحية لا تلبث أن تتطور لتصبح عصبياً في شرح وجهة نظرك.